المسرح السوفياتي الحديث

كان عدد المسارح في عهد روسيا القيصرية ، ١٥٣ مسرحاً حين اعلنت الحرب العالمية الاولى وكانت قائمة في المدن الكبرى كموسكو وبطرسبرغ وكياف وكاركوف الخ ... وكان القليل جداً من هذه المسارح يقدم التمثيليات باللغة الام لشعوب الامبراطورية القيصرية . وكان عدد المسارح القائمة ، قبل الثورة ، في اراضي الجمهوريات الاتحادية الحالية ٤٦ فقط ؛ اما الآن فقد ارتفع الى ٢٢٢ مسرحاً .

ويبلغ عدد المسارح في الاتحاد السوفياتي الآن ٥١٣ يملك كل منها فرقة وبينها ٣١ مسرحاً درامائياً و ٦٨ مسرحاً للدمى مخصصة للاحداث المتراوحة اعمارهم بين السادسة والسابعة عشرة . وبعض هذه المسارح تملك اركاناً تربوية خاصة تهتم بدراسة التأثير التربوي الذي يتركه المسرح على الأحداث . وقد نظم اثنان وستون مسرحاً كولخوزياً في الاتحاد السوفياتي للسكان القرويين ، وهناك ايضاً ٤٨ مسرحاً متنقلا .

وكثيراً ما تقوم الفرق الفنية المشهورة بدورات في المناطق الريفية ، تدخل في برامجها السنوية كمسرح موسكو للفن ومسرح بوشكين الدرامائي في لينغراد ومسرح فاختانوف الخ .. ولا تني المسارح السوفياتية تغني كل عام برامجها وتعرض للجمهور مختلف المسرحيات ، الكلاسيكية والمعاصرة .

وينبغي ان نعد من المسرحيات السبعمئة المسجلة الآن في برامج مسارح الاتحاد السوفياتي حوالي ثلاثمئة مؤلفوها من الروس الكلاسيكيين او المعاصرين. وهناك عدد مماثل مؤلفوها ينتمون الى مختلف شعوب الاتحاد السوفياتي كاوكرانيا وجورجيا وليتوانيا والاوزبك .. اما المسرحيات المئة الباقية فمؤلفوها اجانب ، ومعظم هؤلاء من الكلاسيكيين .

وفي الاتحاد السوفياتي عدد من المعاهد التي تدرس فن المسرح ، وفي موسكو وحدها اربعة معاهد عليا للفن الدرامائي أشهرها معهد الدولة (غيتس) وتتراوح أعمار الذين يتابعون الدراسة في هذه المعاهد بين السابعة عشرة والخامسة والثلاثين . وقد تخرج من معهد الدولة « غيتس » من كانوا فخر المسرح السوفياتي ، نذكر منهم نيبر – تشيكوفا ، وموسكفين ، وليونيدوف وسوبينوف وسواهم . وهذا المعهد قد ضم في العام الماضي خمسمئة طالب ، يمثلون ثلاثاً واربعين قومية من الاتحاد السوفياتي وبلاد الديمقراطيات الشعبية . ولا يخرج هذا المعهد ممثلين فحسب ، بل مخرجين ومعلمي باليه ، وقد أنشأ ١٩ ستوديو وطنياً للتمثيل كانت نواة لمسارح شعبية .

وتتاح في الاتحاد السوفياتي الفرص الكافية لتفتح المواهب التمثيلية ؛ ففي مطلع كل ربيع يقام المهرجان الفني للشبيبة الذي يكشف عن امكانيات الهواة . و« لجمعية روسيا المسرحية » فروع في جميع المدن الكبرى تقريباً ، وهي ترسل مؤرخين ونقاداً للمسرح وممثلين لحضور المهرجانات المسرحية (١)

وتشاهد مسارح الاوبريت في الاتحاد السوفياتي اقبالا كبيراً ؛ فممثلا يغص مسرح موسكو للاوبريت كل مساء بالمشاهدين الذين يقبلون للاستمتاع بهذا المزيج من الوان المسرح ، من الغناء الى الفكاهة الى الموسيقى الى الرقص . ويبلغ عدد الفنانين في هذا المسرح اكثر من مئة، وتتألف جوقته الموسيقية من ثمانين موسيقياً وجوقته الغنائية من سبعين .

ومن أشهر الممثلات الممثلة الشابة زويا بيالايا ZOÏA BIELAÏA التي تملك جسماً جميلا وصوتاً جميلا . ولا تقل عنها شهرة تاتيانا سانينا T. Sanina وسواها .

*

ويحاول المسرح السوفياتي في معظم موضوعاته ان يعكس مصالح الجمهور وأمانيه . وليس من قبيل الصدفة ان يكون بوشكين قد قال « إن التراجيديا قد خلقت في الساحة العامة » وان يكون قد اكد « ان القواعد الشعبية للدرام الشكسبيري تتلاءم مع مسرحنا » . والخاصة الشعبية لهذا المسرح تتجلى في مسرحيات اريستوفان وأشيل ؛ وغالباً ما يشاهد الناس آثار شكسبير وموليير وغوت وشيلر وبوشكين واوستروفسكي وغوركي وتشيخوف .

على ان المكانة الرئيسية في برامج المسارح تعود الى المسرحية الحديثة ؛ وهذا امر طبيعي ، اذ ان المتفرج السوفياتي ينتظر من المسرح قبل كل شيء جواباً سديداً عن القضايا الحاضرة ، ويتعلم العيش الى جانب ابطال رواياته المفضلة . وقد كان يؤخذ على الادب المسرحي السوفياتي ، الى سنوات قريبة ، خلوه من عنصر « النزاع » بين ابطال المسرحيات ، وكان المؤلفون يحاولون تصوير كل شيء كما لو انه كان على خير ما يرام . وكان هؤلاء يعتبرون انه لا توجد تناقضات ولا نزاع جدي في البلاد ، فكانت المسرحيات التي كتبت على اساس هذا الرأي تستعيض عن تصوير السبل الوعرة والمتنوعة في حياة الناس الخارجية والداخلية بلوحات مزوقة صافية عن ابطال « مثاليين » محصورين في حلقة ضيقة من قضايا الانتاج التكنولوجية. فكان من الطبيعي ان يعرض الجمهور عن مثل هذه المسرحيات .

وتاريخ المسرح السوفياتي ، في مفهومه الحديث ، مفهوم البطل الايجابي والنزاع ، بدأ عقب الثورة وأخذ يعالج موضوعات من الواقع الحاضر . وكان أهم هذه المسرحيات « المأساة المتفائلة » و « عام ١٩١٩ الذي لا ينسى» لفيستفسكي و « فصيلة بحرية تزول » لكورنيشوك ، و « الرجل ذو البندقية» لبوغودين ، و « الشرارة » لدادياني و « عائلة » لبوبوف ، وكذلك اوبرا « الدسمبريون » لشابورين وباليه « الشبيبة » لتشولاكي الخ ..

وفي سنوات العقد الرابع من هذا القرن ، أخذ المؤلفون المسرحيون يتجهون صوب موضوع العمل الذي تبناه المجتمع الاشتراكي ، ومن هنا خلق ابطال بوغودين وليونوف وكونيتشوك واربوزوف وافينوغينوف وسيمونوف وغوسييف وكرون .

ومنذ عشرين سنة يقبل الناس على مشاهدة مسرحية « افلاطون كريتشيت » التي تمثل على مسرح الفن بموسكو وهي من تأليف كورنيشتوك الذي يصور في شخصها الرئيسي ، الجراح كريتشيت ، رجلا انسانياً حقيقياً ، مجدداً في العلم ، يناضل في سبيل اطالة حياة الانسان وجعلها اوفر جمالا . وتظهر رومنطيقية الحياة اليومية والصفات الخلقية لدى ابناء القرية الكولخوزية في مسرحي « السهب الرحب » لفينيكوف ، و « القابر تزغرد » لكرابيفا في

(١) راجع العدد ٨٨ من « دراسات سوفياتية » .

٧٩

وتتحدث مسرحية « تانيا » لأربوزوف مصير امرأة شابة توصلت خلال تجارب كبيرة وخسائر جسيمة وخيبات مريرة الى مفهوم عن السعادة الحقيقية تمتزج فيها مطامحها الشخصية بالاهداف الاجتماعية . وهذه المسرحية تعد من اكثر المسرحيات نجاحاً في الاتحاد السوفياتي وخارجه . كما ان مسرحيات « ماشكا » لأفينوغينوف و « المجرى الطويل » لأربوزوف ، و « رجل عادي » لليونوف تنعم بشعبية كبيرة ، ويبحث المتفرج فيها عن نصيحة صديق : كيف يعيش وكيف يؤسس عائلة وكيف يقوي الصداقة ويحب ؟

وتشجع الدولة السوفياتية الفن ذا الالوان القومية المتعددة وتؤمن له اسباب الازدهار . ويعرض مسرح الملهاة بموسكو منذ اكثر من اربع سنوات ملهاة دياكونوف ، وهو من جمهورية الكوميين ذات الحكم الذاتي ، واسم هذه الملهاة « زواج مع بائنة » وهي تعرض في مئة مسرح آخر وبلغات عديدة ، ومن جملة الروايات التي تحظى باقبال كبير « نزل الذهبي » و « فجر الحب » للكاتب الاوكراني غالان ، و « أرجو المعذرة » للكاتب البيلوروسي ماكانيوك ، و « السوزانة الحريرية » للكاتب الاوزبكي قهار ، و « الصرصور » للكاتبة الجورجية باراتا شفيلي ، و « معسكران » للمؤلف الاستوني جاكوبسون و « اسرة الآن » للكاتب التركماني مختاروف الخ .. (١)

---

(١) راجع كتاب « المسرح السوفياتي » لغينادي اوسيبوف

الديوان الشعري الذي سجل رقماً قياسياً في المبيع

انتظروا الطبعة الثانية قريباً جداً

منشورات دار الآداب بيروت ص.ب ٤١٢٣